

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَوْصِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَنَفْسِي
بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ"

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، فِي مُجْتَمَعِنَا عَادَاتٌ حَمِيدَةٌ
كَثِيرَةٌ ، يُذَكَّرُ أَهْلُهَا بِخَيْرٍ وَعَلَيْهَا يُشْكُرُونَ ،

بَلْ وَيَكْتَسِبُونَ بِهَا الْحَسَنَاتِ وَيُوجِرُونَ ،
وَعَادَاتٌ أُخْرَى لَيْسَتْ حَسَنَةً وَلَا مَقْبُولَةً ؛
لَأَنَّهَا خَارِجَةٌ عَنِ مَنَهْجِ الْعَدْلِ وَالْوَسْطِ ،
وَمَنْ تَمَّ فَهِيَ لَا تُرْضِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ ، وَلَا

يَحْمَدُهَا الصَّالِحُونَ مِنْ عِبَادِهِ وَلَا يُقْرِئُهَا
الْعُقَلَاءُ . أَجَلُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، إِنَّ لَدَيْنَا
مَوْرُوثَاتٍ مُخَالَفَةً لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، لَكِنَّهَا
مَعَ كَثْرَةِ اعْتِيَادِ النَّاسِ عَلَيْهَا وَتَمَدُّحِهِمْ بِهَا

مِنْ غَيْرِ اسْتِنْكَارٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَلَا بَدَلٍ
نُصِحَ مِنَ الْعُقَلَاءِ ، انْتَشَرَتْ وَرَاجَتْ
وَأُقِرَّتْ ، حَتَّى غَدَتْ كَأَنَّهَا هِيَ عَيْنُ
الصَّوَابِ ، وَحَتَّى صَارَ مَنْ يُظْهِرُهَا هُوَ

الْمَدُوحَ الْمُثْنَى عَلَيْهِ ، وَمَنْ يُجَانِبُهَا هُوَ

الْمَذْمُومَ الْمُقْلَلَّ مِنْ شَأْنِهِ . وَمِنْ تِلْكَ

الْعَادَاتِ الَّتِي جَعَلَ النَّاسُ يُقَلِّدُ بَعْضُهُمْ

فِيهَا بَعْضًا ، وَيَتَسَابِقُونَ إِلَيْهَا وَيَتَمَادِحُونَ

فِيمَا بَيْنَهُمْ بِهَا ، دُونَ تَفْكِيرٍ فِي ضَرَرِهَا وَلَا
تَأْمُلٍ لِسُوءِ عَوَاقِبِهَا ، الإِسْرَافُ فِي الأَكْلِ
وَالشُّرْبِ ، وَالمُبَالِغَةُ فِي طَبْخِ الأَطْعِمَةِ
وَإِعْدَادِ الأَشْرِبَةِ ، وَتَضَخِيمِ الوَلَائِمِ وَتَكْثِيرِ

أَصْنَافِ الْمَأْكُولَاتِ وَاللَّوَانِ الْمَشْرُوبَاتِ فِيهَا
، دُونَ حَاجَةٍ تَدْعُو إِلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ
شَيْءٌ تَطْلُبُهُ عَيْنُونَ مَخْدُوعَةٌ بِالْمَظَاهِرِ ، مُبْتَلَى
أَصْحَابُهَا بِالتَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ ، قَدْ

اسْتَخَفَّتْهُمُ أَلْسِنُهُ تَتَحَدَّثُ ، وَغَرَّتْهُمُ أَقْلَامُ

تَكْتُبُ ، وَخَدَعَتْهُمُ أَجْهَزَةٌ تُصَوِّرُ وَوَسَائِلُ

تَنْشُرُ ، وَأَبْعَدَتْهُمُ عَنِ الصِّرَاطِ وَصَرَفَتْهُمُ

عَنِ الصَّوَابِ أَشْعَارُ تُنْشِدُ وَقَصَائِدُ تُرَوِّى ،

يُظَهَرُ فِيهَا أَصْحَابُ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْدِيرِ
بِمَظْهَرِ الْكُرَمَاءِ ، وَيُبْرَزُ الْمُبَالِغُونَ فِي إِهْدَارِ
النِّعَمِ عَلَى أَنَّهُمْ هُمُ الْأَجْوَادُ الْأَسْخِيَاءُ ،
وَيُدْخَلُونَ فِي التَّارِيخِ عَلَى أَنَّهُمْ هُمُ الرَّجَالُ

المشهُودَةُ فِعَالُهُمْ ، المَحْمُودَةُ صِفَاتُهُمْ

وَخِصَالُهُمْ ، مِمَّا يُؤَزُّ المُجْتَمَعِ المَخْدُوعِ إِلَى

الاستِمْرَارِ فِي غِيَّهِ دُونَ وَعِيٍّ بِمَخَاطِرِ

الإِسْرَافِ ، وَالمُضِيِّ فِي ضَلَالِهِ بِلا تَفْكِيرٍ فِي

عَوَاقِبِ التَّبْدِيرِ ، وَيَظَلُّ الْجَمِيعُ سَادِرِينَ

غَافِلِينَ ، مُتَنَاسِينَ سَيِّئِ النَّتَاجِ وَمُرَّ

الثَّمَرَاتِ ، الَّتِي لَا تُصِيبُ الْأَفْرَادَ الْوَاقِعِينَ

فِي الْخَطَأِ فَحَسْبُ ، وَلَكِنَّهَا تَعُمَّ بِخَطَرِهَا

المُجْتَمَعُ كُلُّهُ فِي حَاضِرِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ ،

وَتُصِيبُهُ فِي دِينِهِ وَتُضِيعُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ ، قَالَ

سَبْحَانَهُ : " وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ

ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

العِقَابِ"

إِنَّ الْعَاقِلَ أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ ، يَحْكُمُهُ قَبْلَ عَقَلِهِ

إِيمَانُهُ وَيَقِينُهُ ، إِيْمَانُهُ بِأَنَّهُ مُسْتَخْلَفٌ عَلَى مَا

فِي يَدِهِ ، وَيَقِينُهُ أَنَّ مُلْكَهُ لِمَا يَمْلِكُ ، لَيْسَ
مُلْكًا مُطْلَقًا يُسَوِّغُ لَهُ التَّصَرُّفَ فِيهِ دُونَ
حُدُودِ تَرَدُّعِهِ وَلَا ضَوَابِطَ تَمْنَعُهُ . نَعَمْ أَيُّهَا
الْمُسْلِمُونَ ، إِنَّ الْعَاقِلَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ

لِعِبَادَةِ رَبِّهِ ، مُسْتَخْلَفٌ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ
لِعِمَارَتِهَا وَبِنَائِهَا وَإِصْلَاحِهَا ، لَا لِتَدْمِيرِهَا
وَهَدْمِهَا وَإِفْسَادِهَا ، قَالَ تَعَالَى : " وَلَا
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا " وَقَالَ

سُبْحَانَهُ : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " وَقَالَ سُبْحَانَهُ : " وَلَا

تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا

كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا " وَقَالَ فِي

وَصَفِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ : " وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا

لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا

" وَقَالَ تَعَالَى : " وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا . إِنَّ

الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ

الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا " وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ : " كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا

وَالْبَسُوا ، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ "

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ

لَكُمْ ثَلَاثًا : قِيلَ وَقَالَ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ،

وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " طَعَامُ

الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي
الْأَرْبَعَةِ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

إِنَّ صَنَادِيقَ الْقُمَامَةِ وَبَعْضَ الْأَمَاكِنِ فِي
الصَّحْرَاءِ ، لَتَشْهَدُ أَلْوَانًا مِنَ الزَّبَالَاتِ

وَالنِّفَايَاتِ النَّاتِجَةِ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ
وَالْإِسْتِهْلَاقِ الشَّرِّهِ ، الَّذِي بَعَثَهُ الْمُبَاهَاةُ
وَالتَّقْلِيدُ ، وَدَعَتِ إِلَيْهِ الْمَفَاخِرَةُ وَالْمُكَائِرَةُ ،
وَالَّذِي لَوْ جُمِعَ الْمَالُ الْمُنْفَقُ فِيهِ ، ثُمَّ أُنْفِقَ

فِي وُجُوهِهِ الْمَشْرُوعَةَ وَسُبُلِهِ الْمُنْدُوبِ إِلَيْهَا ،
لَزَّالَتْ بِهِ كَثِيرٌ مِنْ مَآسِي الْمُجْتَمَعِ ،
وَلَصَلَحَتْ أَحْوَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَطَابَ
عَيْشُهُمْ وَاسْتَقَرَّتْ حَيَاتُهُمْ ، وَلَا رَتَفَ عَنْهُمْ

البؤسُ وَالْفقرُ وَالقِلَّةُ . أَلَا فَلنَتَّقِ اللهَ أَيُّهَا

المُسْلِمُونَ ، وَلنَحذِرُ أَفْعَالَ المُتْرِفِينَ ؛ فَإِنَّهَا

مِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ البُلْدَانِ وَتَدْمِيرِهَا ، قَالَ

عَزَّ شَأْنُهُ : " وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ المُسْرِفِينَ .

الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ "
 وَقَالَ تَعَالَى : " وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً
 أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا
 الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا " وَقَالَ سُبْحَانَهُ :

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً

يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ

بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ

بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"

أَمَّا بَعْدُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ وَلَا
تَعْصُوهُ ، وَاشْكُرُوهُ وَلَا تَكْفُرُوهُ ، وَاذْكُرُوهُ
ذِكْرًا كَثِيرًا وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ، وَاعْلَمُوا
أَنَّ الْإِسْرَافَ ظُلْمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ،

وَلَهُ صُورٌ مُتَعَدِّدَةٌ وَأَشْكَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلَيْسَ

مَقْصُورًا عَلَى الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ فَحَسْبُ ،

وَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ الْإِحْصَائِيَّاتُ قَدْ دَلَّتْ عَلَى

أَنَّ نِسْبَةَ الْهَدْرِ فِي الْأَكْلِ فِي مُجْتَمَعِنَا قَدْ

تَجَاوَزَتْ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ بِمِئَةِ ، بِقِيَمَةِ تُقَدَّرُ
سَنَوِيًّا بِنَحْوِ أَرْبَعِينَ مِليَارِ رِيَالٍ ، فَتَمَّ
مُسْرِفُونَ فِي عِمَارَةِ الْمَسَاكِينِ وَفَرَشِهَا وَأَثَائِهَا
، وَمُسْرِفُونَ فِي الْمَرَآكِبِ وَوَسَائِلِ التَّوَاصُلِ ،

وَمُسْرِفُونَ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ ،
يَمْدَحُونَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ وَيُعْطُونَهُ
وَيَرْفَعُونَهُ ، وَيَذُمُّونَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ
وَيَمْنَعُونَهُ وَلَا يَدَعْمُونَهُ ، وَتَمَّ مُسْرِفُونَ فِي

رُؤْيَةَ أَنفُسِهِمْ وَنَفْخِهَا وَالْإِعْجَابِ بِهَا ،
وَالْتَّكْبُرِ عَلَى الْآخِرِينَ وَتَحْقِيرِ مَنْ سِوَاهُمْ ،
وَتَمَّ مُسْرِفُونَ فِي الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ ، لَا
يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ، وَتَمَّ مُسْرِفُونَ فِي

النَّوْمِ وَالتَّكَاثُلِ ، يَنَامُونَ بِالْأَيَّامِ عَنِ
الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةِ وَيَتَأَخَّرُونَ عَنِ
الْجَمَاعَاتِ ، وَيَتَكَاثَلُونَ عَنِ كَسْبِ
أَرْزَاقِهِمْ وَلَا يَطْلُبُونَ قُوَّةَ أَنْفُسِهِمْ ، وَهُمْ

مُسْرِفُونَ يَتَحَاكَمُونَ إِلَى قَوَانِينِ الْجَاهِلِيَّةِ ،
فَإِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ عَلَيْهِمْ ، تَجَاوَزُوا فِي الْإِنْتِقَامِ
مِنْهُ بِالْإِعْتِدَاءِ عَلَى إِخْوَانِهِ أَوْ أَقْرَبَائِهِ ،
مُتَجَاهِلِينَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : " وَمَنْ قُتِلَ

مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا
يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا " وَهُمْ
مُسْرِفُونَ فِي مَحَبَّةِ زَوْجَاتٍ وَتَدْلِيلِ أَبْنَائِهِنَّ ،
مَعَ بَعْضِ زَوْجَاتٍ لَهُمْ أُخْرِيَاتٍ وَالتَّغَافُلِ

عَنْهُمْ وَعَنْ أَبْنَائِهِمْ مِنْهُمْ ، لَا يُنْفِقُونَ
عَلَيْهِمْ وَلَا يَرْعَوْنَهُمْ حَقَّ الرِّعَايَةِ ، أَلَا
فَلَنَتَّقِي اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَلَنَسْلُكَ سَبِيلَ
الْوَسْطِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِ وَالْاِعْتِدَالِ فِي أُمُورِنَا

كُلِّهَا ، بِلا إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ ، وَلَا غُلُوٍّ وَلَا
مُجَافَاةٍ ، وَلَا إِسْرَافٍ وَلَا تَقْتِيرٍ ، وَالشُّكْرَ
الشُّكْرَ لِيَرْضَى اللَّهُ عَنَّا وَيَزِيدَنَا " وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لئنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلئنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ

عَدَابِي لَشَدِيدٌ " وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

: " إِنْ لَبَّيْتُ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ

الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ

فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا " رَوَاهُ مُسْلِمٌ .